

مجلة المقدسة

دورية محكمة

العدد الأول ♦ السنة الأولى ♦ محرم ١٤٢٦ / فبراير ٢٠٠٥

نحو نهضة حضارية للأمة الطيب برغوث

بحوث ودراسات

- التفسير والسياسة في الشمال الإفريقي
 - الاختيار الثقافي في البناء السياسي
 - المنظورات الكبرى للقراءة في المنجز النقدي المعاصر
 - صورة الإسلام في الخطاب الإعلامي الغربي
 - إسلامية المعرفة: المفاهيم والقضايا الكونية
 - الضوابط المنهجية لفقه الأقليات في العصر الحديث
 - المعرفة والسياسة: من الوضعية إلى ما بعد الحداثة
- التجاني عبد القادر حامد
محمد البنعياي
يحيى رمضان
نصر الدين بن غنيسة
محمد أبو القاسم حاج حمد
البشير صوالحي
رياض حاوي

مراجعات

- قراءة في كتاب "العقل الأخلاقي العربي" لمحمد عابد الجابري
- باسكال محمد حلوت

ندوات وملتقيات

- طه عبد الرحمن يحاضر حول "الآيات القرآنية والقراءات الحداثية"
 - المؤتمر الدولي حول السياسات الاقتصادية (المنعقد بتلمسان)
- منتصر حمادة
لخضر عزي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

مجلة
المقدمة
دورية محكمة

هیئة المستشارین الأكادیمیین^١

- إبراهيم محمد الزین
- إبتجانى عبد القادر حامد
- زیدان خولیف
- سیف الدین آدم حسین
- طه عبد الرحمن
- الطیب برغوٹ
- عرفان عبد الحمید
- عمار جیدل
- عمار طسطاس
- عمر بوقرورة
- محمد الزحیلې
- محمد الطاهر المیساوی
- محمد مقداد
- محمد نور منوطى
- مصطفى المرابط
- مصطفى عشوی

^١ الأسماء رتبت ألفبائياً.

مجلة
المقدمة
دورية محكمة

تصدر عن الشهاب للإعلام

هيئة التحرير

رئيس التحرير: بدران بن الحسن

مدير التحرير: البشير صوالحي

أمين التحرير: رياض حاوي

المراجعة اللغوية

صالح سبوعي / محمد عبد الحليم القرناوي

المراسلات

P. O. BOX: 12843, KUALA LUMPUR 50792, MALAYSIA

الهاتف: ٠٠٦٠١٩٦٩١٦٣٩٩ / ٠٠٦٠١٩٦٩٠٤٥٩٤ / ٠٠٦٠١٢٢٨٠١٤٣٥

الفاكس: ٠٠٦٠٣٤١٠٥٦٩١٠

العنوان على الإنترنت: www.chihab.net/mouqadima

البريد الإلكتروني: mouqadima@chihab.net

الناشر

Published By:

THINKER'S LIBRARY SDN. BHD.

COMPANY NUMBER: 110008-D

No. 123, Jalan Jasa Tiga, Taman Jasa, Sungai Tua,
68100 Batu Caves, Selangor Darul Ehsan, Malaysia

Tel: +603 6189 7570 Fax: +603 6187 8525

Email: thinkers@tm.net.my

ISBN: 967-69-0507-0

قواعد النشر بالمجلة

ترحب "المقدمة" بمشاركة الكتاب والباحثين في مختلف مجالات الفكر والثقافة والبحث العلمي، وكذلك قضايا الفكر الإسلامي، وعلوم الشريعة، والعلوم الإنسانية والاجتماعية، وترحب بالمساهمات في قضايا التجديد والبناء الحضاري الإسلامي.

يشترط في المساهمات المرسله الشروط التالية:

١. أن لا تكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجالات أخرى.
٢. أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المراجع والمصادر بذكر البيانات كاملة مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية.
٣. يرفق الباحث خطاباً يطلب فيه نشر بحثه، وبه تعريف مقتضب بمؤهلاته وخبراته وتخصصه وعنوانه.
٤. تستقبل المجلة المواد في مختلف أبوابها، الدراسات ومراجعات الكتب وتغطية الندوات ومناقشات الأفكار المنشورة.
٥. تخضع المادة المرسله للنشر لمراجعة إدارة التحرير وتحكيم المستشارين.
٦. لا تعاد المواد المرسله للمجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.
٧. للمجلة حق إعادة نشر المواد المنشورة منفصلة أو ضمن كتاب، بلغته الأصلية أو مترجماً إلى لغة أخرى، من غير الحاجة إلى استئذان صاحبها.
٨. ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

الافتتاحية

المقدمة: نحو فهمة حضارية للأمم

٧

الطيب برغوث

بحوث ودراسات

التفسير والسياسة في الشمال الإفريقي: قراءة في المفهومية

والحركية الإسلامية المعاصرة (١٨٣٢ - ١٩٣٢)

٢٩

التجاني عبد القادر حامد

في قضايا الإصلاح والنهوض: الاختيار الثقافي في البناء السياسي،

في المشروع الحضاري البنابي

٦٥

محمد البنيادي

القراءة: جدلية القارئ والمقروء، أو المنظورات الكبرى للقراءة

في المنجز النقدي المعاصر

١٠٣

يحيى رمضان

صورة الإسلام في الخطاب الإعلامي الغربي

١٢٥

نصر الدين بن غنيسة

إسلامية المعرفة: المفاهيم والقضايا الكونية

١٥٢

محمد أبو القاسم حاج حمد

الضوابط المنهجية لفقهاء الأقليات في العصر الحديث

١٨١

البشير صوالحي

المعرفة والسياسة: من الوضعية إلى ما بعد الحداثة

٢٠١

رياض حاوي

مراجعات

نقد على نقد: قراءة في كتاب "العقل الأخلاقي العربي" لمحمد

عابد الجابري

٢٢٩

باسكال محمد حلوت

ندوات وملتقيات

طه عبد الرحمن يحاضر حول "الآيات القرآنية والقراءات الحداثية"

٢٤١

منتصر حمادة

المؤتمر الدولي حول السياسات الاقتصادية (المنعقد بتلمسان)

٢٦٣

لخضر عزي

المقدمة: على طريق النهضة الحضارية للأمة

المهمة العسيرة

حينما طلبت مني هيئة تحرير مجلة "المقدمة" أن أكتب مقدمة عددها الافتتاحي الأول، قفزت إلى ذهني أسئلة جدية كثيرة، كادت تجعل مهمتي عسيرة للغاية، بل كادت تحول بيني وبين تحقيق رغبة هذه الكوكبة المستنيرة من كواكب نخبة الصحوة الحضارية المباركة للمجتمع والأمة، وهو ما حرصت طوال حياتي أن لا أتسبب فيه؛ لأنني أعتقد تماما بأن شدّ عضد هذه الصفوة أينما وجدت في أرض الله، من علامات الإيمان، وسمات النضج، وشروط حصول البركة في النغير الاجتماعي العام الذي تخوضه نخبة المجتمع من أجل إنجاز مشروع النهوض الحضاري الذي ظلت به الطريق، وتشعبت به السبل، وأحاطت به تحديات ذاتية وخارجية غير يسيرة.

الأسئلة الصعبة

ومن هذه الأسئلة الجدية الكثيرة التي ثارت في ذهني؛ هل نحن في حاجة إلى مجلة فكرية جديدة في ظل الطوفان الإعلامي والثقافي المهول، الذي يزداد عنفوانا

* مفكر إسلامي مهتم بقضايا التغيير والبناء الحضاري.

واتساعا بوتائر استثنائية غير مسبوقه؟ ماذا عسى أن تضيفه مجلة جديدة إلى ذلك؟ وهل هناك جدوى من إضافة عنوان أو رقم جديدين إلى عناوين وأرقام إعلامية لا حصر لها، يكرر بعضها بعضا في غالب الأحيان؟ هل قرأنا واستوعبنا وراجعنا وقيّمنا واستثمرنا ما كتب، ويكتب، منذ فجر النهضة، بل وما كتب قبل ذلك مما لا يحصيه عد؟ ألا يعد هذا التكرار والاجترار والاستنساخ حيناً، والغفلة المزمّنة عما أُنتج وأنجز سابقاً حيناً آخر، من الإسراف والجهد الممقوتين المهدرين للإمكان والإرادة الحضاريين للمجتمع والأمة؟

قمة القلق والخرج

وقد أفضت بي هذه التساؤلات الجدية الكثيرة إلى ما هو أدعى للحيرة والارتباك وهو؛ ما حكم هذا الإسراف والمهدر لإمكانات النهضة وشروطها النفسية والروحية والاجتماعية... في ميزان الإسلام؛ أي ما حكمه الشرعي أولاً؟ ثم ما حكمه في ميزان شروط النهضة وسنن الله فيها ثانياً، والتي تؤكد أن كل جهد فكري أو تربوي أو ثقافي تبذله النخبة بصفة خاصة، ولا يساهم في التغيير الإيجابي الفعال للفكر والنفوس والسلوك والعلاقات داخل المجتمع، ولا يدعم حركة النهوض الحضاري للأمة، يندرج بطريق أو آخر في حركة الإسراف أو الترف أو الاستنزاف والمهدر المضاد لحركة النهضة، والمناقض لشروطها، وخاصة في مراحل الإقلاع والتأسيس والمواكبة، والتي لا تحتل أي سوء استثمار للإمكان والإرادة الحضاريين للمجتمع والأمة، بأي حال من الأحوال، لما تحتاجه النهضة في هذه المراحل من تعبئة وشحن مكثف لكل مقومات وشروط أصالتها وفعاليتها واطرادية حيويتها.

من أجل هذا كانت الأسئلة السابقة في غاية الأهمية والجدية، وكانت معرفة الاتجاه الذي تسير نحوه المحملة والمسار الذي تتحرك فيه، أمراً شديداً الحساسية وبالغ الدقة بالنسبة لي ولأي مسلم تؤرقه هموم النهضة، وتشغله شروطها؛ لأن أي حركة

في الاتجاهات أو المسارات الجزئية أو الهامشية غير التكاملية، أو الضرورية.. هي مساهمة في استنزاف مقومات النهضة، وتدمير لشروطها الموضوعية، ومضاعفة لهجومها، وإضعاف لموقفها في معارك الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد المحتدمة في الأرض، يجب على كل مسلم أن ينأى بنفسه عنه ابتداءً، وأن يعمل بكل قواه على أن يضع نفسه في عمق المسارات الصحيحة، ويجتهد في تخفيف منابع المسارات الهامشية والضرارية، أو تحويلها لتصب في المجرى الكلي لحركة النهضة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

مهمة دعم الجهود البناءة

ولكن منطق تشجيع المبادرات الفكرية والتربوية والثقافية الرسالية الجادة البناءة، المدرجة في مسار دعم "التراكمية النوعية الفعالة" التي تشكل مقوماً جوهرياً من مقومات النهوض الحضاري، ساعدتني على تجاوز عقبة الأسئلة السابقة، وكتابة هذه الافتتاحية المتواضعة لمجلة المقدمة، كمساهمة بسيطة مني لتشجيع وتثمين طموح نخبة الصحوة وحفزه ليندفع أبعد مما اندفع من سبقه من الأجيال على طريق النهضة الحضارية المنشودة.

فأنا أعرف جيداً المعدن الفكري لهذه الكوكبة من نخبة الصحوة والحركة والمجتمع والأمة، التي تقف وراء مشروع مجلة "المقدمة"، وأدرك تماماً الطبيعة الرسالية المستنيرة لطموحها، وأنه يتحرك بجديّة في اتجاه "الإضافة التراكمية النوعية التكاملية الفعالة"، وينأى بنفسه تماماً عن منطق وخيارات "التجزئية الحدية التنافرية المنهكة"، الأمر الذي يجعل تشجيعه ضرورة، وربما ارتقى إلى مستوى الفريضة، والاطمئنان إليه والاستفادة منه غنيمة لا تقدر بثمن.

ومن دواعي اطمئنائي إلى الاتجاه الذي تسير نحوه مجلة "المقدمة"، والثقة في المسار الذي تتحرك فيه، أمور عديدة، قد يكفيها ذكر ما يلي:

أصالة الطموح وجدّيته

الذي تركز عليه تجربة هذه الصفوة من نخبة الصحوة والحركة والمجتمع والأمة، كما أشرت إلى ذلك آنفا. وقد يكفي هنا لفت الانتباه إلى ما يجتزنه التواصل مع رموز الخبرة الحضارية للمجتمع والأمة من مؤشرات عميقة الدلالة على أصالة هذا الطموح وجدّيته، وأقصد ما يعبر عنه عنواننا: "الشهاب" و"المقدمة" من حرص، بل وإصرار واع على إنجاز عملية الترابط التكاملي بين خبرات المجتمع والأمة في حركة النهوض الحضاري، باعتبار التكاملية بين الأبعاد والمراحل الثلاثة - الماضي والحاضر والمستقبل - في "الدورة الإنجازية" للفعل الاجتماعي والحضاري شرط مفصلي في العملية التجديدية، بدونها يفقد التجديد أصالته وفعالته وإمكانية اطراديته.

ومنطق فلسفة التاريخ والحضارة، يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك، على أن أكبر الاختلالات التي توهن أصالة وفعالية واطرادية حركة التدافع والتداول الاجتماعي والحضاري باستمرار، تكمن في "الانفصامية التنافرية" التي تحدث في وعي الناس، وتطال مناهج أداؤهم، إزاء هذه الأبعاد الثلاثة المؤثرة بشكل حاسم في الدورات الإنجازية للأفعال الاجتماعية المؤسسة للتغيير والإصلاح والتجديد في المجتمع والأمة والعالم.

فمجلة "الشهاب" التي كان يصدرها الإمام عبد الحميد بن باديس (١٩٢٦م - ١٩٤٠م) في الجزائر، والتي بعثتها مجددا هذه الصفوة من نخبة الصحوة والحركة والمجتمع والأمة^١، لم تكن في حقيقة أمرها مجرد مجلة عريقة، بل كانت تمثل مدرسة فكرية ضخمة في الإصلاح والتجديد الإسلامي الحديث، من حيث أنها كانت من إنتاج عقلية تجديدية غير عادية، تمثلت في الحركة الإصلاحية التي أشرف على تخطيطها وقيادتها أئمة معاصرون كبار؛ كعبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، والعربي التبسي، ومبارك الملي، والطيب العقبي، والفضيل الورتلاني... وغيرهم كثير. ومن حيث أنها كانت امتدادا نوعيا متجددا لـ"المدرسة السننية

^١ يشير المؤلف إلى موقع الشهاب للإعلام www.chihab.net.

المقاصدية التكاملية" في الفكر والحركة الإسلاميين الحديثين خاصة، وفي الخبرة الثقافية والحضارية الإسلامية التاريخية بصفة عامة.

ومن يطلع، على سبيل المثال، على آثار الإمامين الكبيرين عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي المطبوعة، على قلتها، والتي نشر جلها في مجلة "الشهاب" وجريدة "البصائر"، يدرك فعلا مصداقية ما كانت هاتين المؤسستين الثقافتين تمثلانه من مدرسة فكرية وحركية متميزة في الثقافة والخبرة الإسلامية المعاصرة. ويكفيني هنا أن أذكر، على سبيل المثال، للقارئ المسلم المهتم بنظريات التغيير والإصلاح والتجديد الحضاري، إحدى أهم النظريات المركزية في فكر النهضة ومنهجها واستراتيجيتها عند الإمام عبد الحميد بن باديس رحمة الله عليه، الذي لخص معادلة النهضة بقوله:

"لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءؤهم. ولن يصلح علماءؤهم إلا إذا صلح تعليمهم. ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي"^١. وكان شعار مجلة "الشهاب" المحوري، هو مقولة الإمام مالك الشهيرة: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها". وكان يعني بذلك ضرورة استصحاب أصول وثوابت القوة والنهضة المتجددة التي قامت عليها نهضة الأمة الأولى، وهي: السننية، والمقاصدية، والتكاملية الفكرية والمنهجية والتاريخية أو الحضارية، التي أرساها القرآن والسنة والسيرة النبوية ابتداءً، ثم رشد الخبرة الثقافية والحضارية الذاتية للأمة، المنبثق من ذلك على مر القرون، والذي يتيح للأجيال المعاصرة، إذا ما تمكنت من إحسان استيحاءه واستثماره أن يغذي حركة الواقع ويوصلها ويعصمها، ويدفع بها قدما على طريق الأصاله الثقافية، والفعالية الحضارية، والاستمرارية التاريخية.

ودون شك، فإن الصفوة التي قررت بعث هذا الرمز الثقافي التاريخي، واستدعاءه مجدداً، تعي جيداً هذه الأبعاد، وتدرك أهميتها المفصلية في تعزيز شروط

^١ ابن باديس، حياته وآثاره ٣/ ٢١٧.

الأصالة والفعالية والاطرادية في حركة النهوض الحضاري المعاصرة، ولا أظن أبداً، بحكم معرفتي بهذه الصفوة أو ببعضها على الأقل، بأن لجوءها إلى استدعاء هذه الرموز الثقافية والتاريخية، هو مجرد عملية "استبراكية"، أو إعادة تمثيل عاطفي حربي للأدوار والمهام التي كانت تنهض بها هذه الرموز في عصرها وواقعها، بل أعتقد جازماً بأن عملية الاستدعاء تتعلق بالمنهج الذي تمثله "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" وليس بالشكل أو التجسيّدات الزمنية التاريخية له، لأن ذلك يناقض الأصول والثوابت الثلاثة لفكر هذه المدرسة ومنهجها وهي: السننية، والمقاصدية، والتكاملية الفكرية والمنهجية والتاريخية، والتي تقتضي استصحاب روح التاريخ وسننه التي لا تأثير للزمان والمكان فيها، بل هي صالحة وفاعلة في كل زمان ومكان، وترك كل ما هو ظرفي وعرفي واجتهادي وخصوصي وذاتي للتاريخ، لأنه استفد أغراضه، ويجب أن يستقر أو يحفظ في الذاكرة الثقافية والحضارية للتاريخ. وينسحب هذا الحكم على جزء كبير أو الجزء الأكبر من الاستجابات الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية الزمنية للمجتمع والأمة، تجاه روح الشريعة وثوابتها من ناحية، وتجاه الحاجات والتحديات الظرفية أو المرحلية التي يجد كل جيل نفسه وجهاً لوجه أمامها من ناحية أخرى، ويجب عليه أن يلبّيها ويواجهها بكل قواه، ليحافظ على وجوده وتوازنه واستمراره. وهذا ما أعتقد بأن الصفوة التي تقف وراء مشروع هذه المجلة، تعيه جيداً، وتؤمن به، وتستوعب مقتضياته العقدية والفكرية والمنهجية والروحية والأخلاقية والاجتماعية، وتؤسس مساهماتها في الجهد النهضوي عليه.

وما قيل عن الدلالات الفكرية والمنهجية والثقافية والحضارية في إعادة استدعاء عنوان "الشهاب"، يقال مثله في إعادة استدعاء عنوان: "المقدمة" بكل الثقل المعرفي والمنهجي والثقافي والحضاري الذي تمثله مقدمة ابن خلدون في الفكر الإسلامي والإنساني، إذ تعتبر بحق نقلة نوعية غير مسبوقه في التأسيس لـ"الوعي السنني المقاصدي التكاملي" في الفكر الإسلامي عامة.

فإعادة استدعاء عنوان "المقدمة" كما أتصور، ليس هو احتفاء بتجيبيا منحسبا في الماضي، أو متضاءلا أمام قاماته العملاقة في حقول المعرفة والحركة المختلفة بصفة عامة، وليس هو إعادة استنساخ لمقولات المقدمة ونظرياتها وتطبيقاتها الزمنية التاريخية على جزئيات الحياة بصفة خاصة، وليس تعويضا نفسيا عن الضعف والقصور الذي تعاني منه حركة التجديد الحضاري للأمة منذ أمد ليس يسيرا، ولكنه احتفاء بثوابت المنهج وامتداد متجدد به في الحاضر والمستقبل، كان يفترض أن يتأصل في مناخنا الفكري والثقافي والاجتماعي والسياسي منذ قرون، بحكم تأسس وتأصل ثوابته وقواعده وتطبيقاته في المرجعية المعرفية العليا للأمة؛ ممثلة في القرآن والسنة والسيرة النبوية بصفة خاصة، إذ هناك تأسست وتبلورت واستوت على سوقها أصول وثوابت وقواعد وروح "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" في الفكر الإنساني عامة وليس في الفكر أو الخبرة الإسلامية فقط. ولكن مع الأسف عوامل ذاتية وخارجية عديدة حالت دون ذلك، وجعلت روح هذه المدرسة تتشعب تشعبا غير تكاملي، بل شابته كثير من مظاهر التنافرية والقطائع الفكرية والاجتماعية والسياسية المنهكة.

فاستدعاء هذين الرمزين الثقافيين على سبيل المثال، يندرج في سياق تعميق مسار الوعي وتوسيع نطاقه لدى الصحوة والحركة والمجتمع والأمة، بالحاجة الملحة إلى العناية القصوى بفكر "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" وخبرتها الثقافية والحضارية للأمة، باعتبارها المعبر الوحيد أمام حركة نهوض الأمة، للمضي قدما نحو أهدافها على المستوى المحلي والعالمي والإنساني والكويني.

وكون "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" تشكل المعبر المفصلي لحركة النهوض الحضاري بالأمة، وكون هذه المدرسة قد نضجت واستوت ثوابتها في المرجعية العليا للأمة، وفيما أبدعته الخبرة الثقافية والحضارية الإسلامية عبر التاريخ، لا يعني إطلاقا أن هذه المدرسة قد استغنت عن المراجعة والتجديد والتجاوز والإضافة، على صعيد الأفكار والمناهج والخبرات والتسخيرية المختلفة التي أبدعتها

الأمة عبر التاريخ، وحققت بها استجاباتها الزمنية للحاجات والتحديات التي عاصرها كل جيل من أجيالها، في هذه البيئة أو تلك، وفي هذه المرحلة أو تلك من مراحل التطور الاجتماعي والحضاري، بل هي مفتوحة على حركة التطوير والتجديد والإضافة والتجاوز بشكل دائم، ولا تؤمن بالمقولة الثقافية التقليدية "ليس في الإمكان أبدع مما كان"، بل تؤمن بأن لكل جيل إبداعاته وإضافاته النوعية، وأن أحدا لم يقل فيها بعد كلمة الفصل الأخيرة، في تفاصيل المعرفة والخبرة التسخيرية، وأن الوحي نفسه لم يقل لنا كلمة الفصل الأخيرة في كل ما يتصل بتفاصيل وجزئيات سنن الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد، بل ترك ذلك لحركة الاجتهاد البشري المرتبطة بمستوى وعي الناس، في كل عصر وجيل ومجتمع وأمة، بمنظومات سنن الله في الآفاق والأنفس والهداية والتأييد، واكتفى بقول كلمة الفصل في ثوابت العقيدة، وأصول الأخلاق، وكليات القيم ومحكمات الأحكام المنظمة للحياة الاجتماعية، وترك الباب مفتوحا فيما عدا ذلك للعقل والاجتهاد البشري، ليطور ويبدع من الأفكار والمناهج والخبرات التسخيرية المتجددة، ما به يحقق المزيد من الأصالة والفعالية والاطراد، في أدائه الفكري والاجتماعي والحضاري.

وفي السنة النبوية توجيهات فكرية ومنهجية وتربوية بالغة الدلالة في هذا المجال، نكتفي بالإشارة إلى ثلاث توجيهات مهمة، يؤسس أولها لسنة التغيير والتجديد في حركة الحياة، وينبه إلى ضرورة تمكين الإسلام من قيادة وتوجيه هذا التغيير والتجديد الدائب في الحياة، عبر مؤسسة حركة الاجتهاد التشريعي والتنفيذي وترقيتها باستمرار؛ من أجل مواكبة مؤثرات سنن الله في الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد المهيمنة على صيرورات حركة الاستخلاف البشري في الأرض. يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»^١.

وأسس التوجيه الثاني لحركة الاجتهاد التنفيذي أو التسخيري الفعال، المبني

^١ الألباني، صحيح أبي داود برقم: ٣٦٠٦.

على التجربة والخبرة العملية الإبداعية التي أفسحت لها الشريعة المجال واسعا لتمضي مع تطوير الخيارات والبدائل الأكثر فاعلية في تحسين أداء الأفراد والجماعات والمؤسسات، ورفع مستوى فعاليتها الاجتماعية الكلية، التي سيتوقف عليها أداء المجتمع والأمة في معتركات الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد الحضاري بعد ذلك، ويتقرر وضعها وموقعها في عالمها وعصرها، وفي ذلك قال عليه الصلاة والسلام وهو يسمع أصواتا من حوله: «ما هذا الصوت؟» قالوا النخل يؤبرونها. فقال «لو لم يفعلوا لصلح». فلم يؤبروا عامئذ فصار شيصا، فذكروا للنبي ﷺ فقال: «إن كان شيئا من أمر دنياكم فشانكم به، وإن كان من أمور دينكم فإلي»^١.

وليس في الحديث إطلاقا ما تريد بعض الاتجاهات المتحسسة من شمولية دور الإسلام في الحياة، أن تركز عليه لتبرير الفكر العلماني التبعضي في الأمة وتسويغه وتسويقه، لأن الحديث يؤكد على دور التجربة والخبرة الإبداعية في استثمار عوالم سنن الآفاق والأنفس في تحسين فعالية الأداء، والتي تجعل المجتمع أكثر توافقا وانسجاما مع بقية منظومات سنن الله في الهداية والتأييد، والتي لا يستقيم أمر الخلافة البشرية في الأرض بدونها؛ لأن تهميش هاتين المنظومتين التسخيريتين الأساسيتين يسقط مكونين رئيسيين من المكونات الكلية الأربعة التي تتكون منها الميزانية الكونية للاستخلاف البشري في الأرض وهي: منظومة سنن الآفاق، ومنظومة سنن الأنفس، ومنظومة سنن الهداية، ومنظومة سنن التأييد.

وهنا يكمن سر وقوة وتفوق وفعالية وأصالة وتميز وجدية ما أسميته بـ"المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" في الخبرة الثقافية والحضارية الإسلامية؛ لأنها خبرة تدرك شمولية مكونات الميزانية الكونية الكلية الهائلة للاستخلاف البشري في الأرض من ناحية، وتعني مدى التكاملية العضوية اللازمة للاستفادة من استثمار هذه الميزانية الكونية بفعالية من ناحية أخرى، وتعني جيدا بأن السنن هي جوهر

^١ الألباني، صحيح بن ماجه برقم: ٢٠٠٣.

رصيد هذه الميزانية الكونية الكلية من ناحية ثالثة، وتؤمن بسطان سنن الله المطلق على الكون كله من ناحية رابعة، بما تنهض أمم وحضارات ويستحكم سلطاتها في الأرض ويمتد، وبما تضعف وتتخلف وتنهار أمم وحضارات أخرى، ويطول ليل غنائيتها واستضعافها وهوانها الحضاري. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^١.

أما التوجيه الثالث فقد أسس لتشجيع الروح الاجتهادية، وشحذها ومباركتها، والإثابة عليها، وتحريرها من أية كوابح لا موضوعية قد تحد من انطلاق فعاليتها الإبداعية، كما يظهر ذلك من هذا الحديث النبوي الذي جاء فيه: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»^٢. فالروح الاجتهادية الإبداعية المتوازنة حاجة حيوية يفرضها منطلق سنن الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد المهيمن على حركة الحياة، لمواجهة تحدياته المتلاحقة، وتلبية حاجات الإنسان المتجددة فيه دوماً، تبعاً لتلك التحولات الذاتية والخارجية التي يجد الإنسان نفسه يتحرك في خضمها باستمرار، ولا يملك أي خيار آخر إزاءها سوى تكييف نفسه وواقعه معها بشكل فعال، وإلا جرفته سيول الاندفاعات الحضارية الهائلة، وألقت به على هوامش حركة التاريخ ليذوق ويلات الغنائية والتخلف والاستضعاف، ويدفع ثمن الغفلة والتقصير والاستهتار.

فالاتجاه في منطلق الإسلام ليس خياراً أساسياً من خيارات تحصيل المعرفة المتطورة واستيعاب مستجدات الحياة بما فحسب، بل هو الخيار الأكثر أهمية وحيوية، إن لم يكن الوحيد المتاح أمام المجتمع والأمة، لتحقيق التكيف الفعال مع منطلق سنن الله في الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد، لأنه الآلية الفكرية والمنهجية الأساسية لتحقيق ديمومة معاصرة واستشرافية الشريعة من جهة، ولتوفير الشروط الموضوعية لمواجهة أخطار التخلف الاجتماعي والحضاري من جهة

^١ سورة الأحزاب، الآية ٦٢.

^٢ البخاري، برقم ٧٣٥٢.

أخرى، ولضمان قدرة المجتمع والأمة على الوفاء بمتطلبات المواكبة أو المنافسة أو الريادة الحضارية من جهة ثالثة.

وفي حديث التجديد الذي أوردناه سابقا، تأكيد على "الدورات التجديدية" المؤسسة للنقلات الفكرية والثقافية والاجتماعية والحضارية الكبرى، التي ترافقها المراجعات النقدية الشاملة للخيارات والاستراتيجيات، والأولويات، ومناهج الأداء التي حكمت حركة المجتمع والأمة في مراحل التحول الثقافي والاجتماعي والحضاري السابقة، وأنتجت الواقع القائم، بغية تكييف المجتمع والأمة مع حقائق المرحلة الحضارية المعاصرة، وتمكينهما من تلبية حاجتهما المستجدة، ومواجهة تحدياتهما القائمة والمحتملة، بفعالية أكبر وأصالة أعمق، تضمن ربح رهانات الحاضر، وتأمين تطلعات المستقبل. ولا شك أن آلية ذلك كله وشرطه هو الحركة الاجتهادية المستندة إلى فكر سني متطور، وإلى وعي مقاصدي مستنير، وإلى رؤية ومنطقية منهجية تكاملية منفتحة على رشد وحكمة الخبرة البشرية الشاملة. وهذا هو المجال الذي أتصور بأن النخبة التي تقف وراء "مشروع مجلة المقدمة" تدأب على الاستثمار فيه، والمراهنة عليه في منح الأصالة والفعالية والاطرادية اللازمة لحركة النهوض الحضاري بالأمة.

اندراج مشروع المقدمة في عمق المدرسة السننية

المقاصدية التكاملية

والداعي الثاني للثقة في المسار الذي تتحرك فيه الصفوة التي تقف وراء مشروع "مجلة المقدمة"، هو اندراج هذا المشروع في عمق "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" في الخبرة الإسلامية والإنسانية بصفة عامة، لما يحمله من طموح جدي للاستفادة من تراث هذه المدرسة ابتداء، والانتماء الفعلي المستبصر لها ثانيا، والمساهمة في تطويرها وإغنائها بالأفكار والقيادات والمؤسسات النوعية ثالثا، والمشاركة النشطة في توسيع نطاق استفادة الصحوة والحركة والمجتمع والأمة من

خبرات وكفايات هذه المدرسة رابعا، والمساهمة في نقل إشعاعها الثقافي والحضاري إلى العالم خامسا، لاعتقاده أن هذه المدرسة هي مصب رشد الخيرة البشرية، وأن التوازن الحضاري العالمي، بل والكويني، مرتبط بمدى قرب أو بعد الحضارية الإنسانية من روح هذه المدرسة وخبراتها.

ومن خلال استقرار حركة الصيرورات الحضارية للاستخلاف البشري في الأرض عامة، وحركة الصيرورات الحضارية الرسالية خاصة، وحركة الإسلام الحضارية بصفة أخص، يمكننا أن نستخلص نتيجة، أو على الأقل ملاحظة أساسية، هي أن أصالة حركة هذه الصيرورات الحضارية وفعاليتها ومدى اطراديتها، ارتبط على الدوام بمدى القرب من فكر هذه "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" وخبرتها والاستفادة منها في شحذ الطاقات، والقدرة على استثمارها والمحافظة على منجزاتها، أو بالبعد عنها وعدم الاستفادة منها، وتعرض طاقات الأفراد والمجتمع للإهتلاك والهدر الذاتي. وهو ما نبه عليه القرآن في مواطن كثيرة جدا، نكتفي منها بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^١.

فـ"المدرسة السننية المقاصدية التكاملية" هي المصب الذي تتجمع فيه كل روافد الخيرة والرشد الذي تتفتح عنه عبقرية البشر وتجاربهم المتنوعة؛ في أفرادهم وجماعاتهم ومجتمعاتهم وأمهم وحضاراتهم، لذلك تظل أشمل وأغنى وأكمل من بقية روافد الرشد الجزئية أو المنعزلة مهما كانت فعاليتها، الأمر الذي يجعل بناءها، وتوسيع دائرة الاستفادة منها، وتعميق الوعي بأهميتها الحيوية في نهوض المجتمعات والأمم، واستحكام أمر الحضارات في الأرض، من أولى الأولويات التي يجب على المجتمع والأمة أن يعتنيا به على الإطلاق.

والمجتمع الذي لا تتكون فيه هذه "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية"، تتجزأ

^١ سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

طاقاته، وتبعثر خبراته، وتتنافر جهوده وتتناكل، وتضعف فعاليته الاجتماعية الكلية، مهما كانت قيمة فعالية كياناته الجزئية المختلفة؛ لأنها تتحول، في ظل غياب المصب الكلي للفعاليات الجزئية، إلى فعاليات ضاررية اهتلاكية هدمية منهكة، فنقطة الانعطاف والتحول الحضاري الحاسم في تاريخ أي مجتمع أو أمة، ترتبط دوماً بنجاح هذا المجتمع أو هذه الأمة في تكوين المصب العام لبقية روافد خبرته وعبقريته المتناثرة، في مجال الفكر السنني، والوعي المقاصدي، والتكاملية المنهجية في التصور والأداء، كما سبق التأكيد على ذلك.

وعلى هذا الأساس، فإنني أتصور بأن حركة النهضة الإسلامية الحديثة لم تتمكن بعد من ربط صلتها بشكل فعال وحاسم بهذه المدرسة العريقة في الخبرة الثقافية والحضارية للأمة، بعد الفجوة الكبرى التي أحدثتها عصور التشرذم والضعف والتخلف والغنائية، ولم تستطع الأمة مبارحتها حتى أضيف إليها عامل خارجي جديد وخطير، وهو الاستعمار الحديث الذي عمق بسرعة وفعالية عوامل هذا التشرذم والضعف والتخلف والغنائية، وجدَّ في الحيلولة دون وصول حركة النهضة إلى تحقيق هذا الوصل الجديد لنخب الأمة المختلفة بهذه المدرسة من جديد. بل إن التحولات الحاصلة في العالم تقتضينا أن نلاحظ بأن الموجة الاستعمارية دخلت مرحلتها الثالثة - مرحلة العولمة والتنميط الثقافي والحضاري - وحركة النهضة ما تزال تعيش في أجواء الموجة الاستعمارية الأولى وملابسها وتداعياتها. وقليلًا ما امتدت اهتماماتها إلى مواجهة تداعيات الموجة الاستعمارية الثانية! بل إن بعض فصائلها ارتدت باهتماماتها ووعيتها وأولوياتها إلى مراحل ما قبل الموجة الاستعمارية الأولى، لتفتح جبهات عريضة على معارك التاريخ السابقة؛ حيث نشهد جدلاً فكرياً وثقافياً حاداً مع المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والخوارج والمرجئة، وأهل الرأي وأهل النقل، وأهل التصوف، وأهل المذاهب... على مستوى خط الإسلاميه بمختلف اتجاهاتها. كما نشهد جدلاً فكرياً وثقافياً آخر تخوضه الاتجاهات الحدائيه لاستنساخ تجربة النهضة الغربية الحديثة عبر الارتداد إلى

استلهم، بل واستصحب، أجواء وملابس ومواقف وتجارب ما عرف بعصور الإصلاح والأنوار، فصراع الدين والعلم، فانفصال الدولة عن الدين، فعزل الدين عن الحياة، فإعلان موت الإله! فالحدائث، فما بعد الحدائث... إلى ما هنالك من معارك تاريخية خاصة بتجربة المجتمعات الغربية.

وبالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلتها الحركة الإصلاحية، والحركة التحديثية بمختلف اتجاهاتها، والحركة الإسلامية بمختلف فصائلها وأطرافها، وموجات الصحوة الاجتماعية المعاصرة، وبالرغم مما تحقق من مكاسب جزئية لا يستهان بها على طريق النهضة الحضارية الطويل، فإن حركة النهضة الإسلامية الحديثة لم تتمكن بعد من إعادة تأسيس وبعث "المدرسة السننية المقاصدية التكاملية"، بالشكل الذي يحوّلها إلى مصب حقيقي غلاب، يمتص ويستقطب بقية روافد الخبرة المعرفية والحركية والاجتماعية والسياسية الجزئية، ويضع كلا منها في مكانه وحجمه الصحيح؛ كجزء من كل وليس كجزء يعيش وهم الهيمنة أو الوصاية على الكل، كما هو واقع الأمة فعلا، والذي تحولت فيه الروافد الفكرية والحركية والاجتماعية المتنوعة - في ظل العزلة والانغلاق على النفس - إلى جزر مستقلة عن بعضها البعض، اكتسب كل منها شرعية موهومة بأحقيته وقدرته على صياغة وتخطيط وقيادة حركة النهوض الحضاري بالأمة منفردا، معتبرا ما عداه جهدا هامشيا أو ضروريا من حقه بل من واجبه احتواءه أو تعطيله أو تدميره باسم مصلحة حماية الدين حيناً، ومصلحة حماية الدعوة حيناً آخر، ومصلحة الأمة حيناً ثالثاً، ومصلحة أمن الدولة والاجتمع حيناً رابعاً... وهكذا دواليك يتعمق التنافر والاهتلاك الذاتي، وتتضاعف تبعاته!

والإشكال الكبير أن أياً من هذه الروافد الجزئية لم يعد يومئذٍ السند الشرعي لتبرير موقفه وتعزيزه في توهم الأحقية والوصاية والسلطة على حاضر حركة النهضة ومستقبلها، بل إن العديد من هذه الروافد يرقى بموقفه النفسي والفكري والسلوكي إلى مستوى اعتبار نفسه هو الطائفة المنصورة الوارد ذكرها في الحديث